

الحديقة كفضاء اجتماعي:

مقاربة أنثروبولوجية في إنتاج المعنى والممارسة اليومية للمكان

The Garden as a Social Space: An Anthropological Approach to the Production of Meaning and Everyday Spatial Practices

تاريخ النشر: 2026/06/12

تاريخ القبول: 2026/05/30

تاريخ الإرسال: 2026/04/27

بن قدور حورية¹EMAIL : houria.benkadour@univ-bidkra.dz, جامعة بسكرة، الجزائر¹

الملخص:

تتناول هذه الورقة البحثية الحديقة بوصفها فضاء اجتماعيا-ثقافيا يتجاوز بعدها الطبيعي والجمالي إلى كونها مجالا لإنتاج العلاقات الاجتماعية وبناء المعاني الرمزية. تنطلق المقاربة من منظور أنثروبولوجي يركز على الممارسات اليومية للأفراد داخل الفضاء الحضري، وكيف يعاد تشكيل المكان من خلال التفاعل الاجتماعي والحركية الرمزية. وتفترض أن الحديقة ليست مجرد فضاء للراحة أو الترفيه، بل هي بنية اجتماعية مصغرة تعكس أنماط التنظيم الاجتماعي، وتُجسد علاقات السلطة والهوية والانتماء. كما تحاول إبراز كيفية تحول هذا الفضاء إلى مجال للتفاوض الثقافي بين الفرد والجماعة، وبين الخصوصية والعمومية. وتخلص الدراسة إلى أن فهم الحديقة كفضاء اجتماعي يسمح بتوسيع أدوات التحليل الأنثروبولوجي نحو دراسة المكان بوصفه ممارسة معيشة وليس مجرد معطى جغرافي

الكلمات المفتاحية: الحديقة، الفضاء الاجتماعي، الأنثروبولوجيا الحضرية، الممارسة اليومية، إنتاج المعنى، المكان المعيش، الرمزية الاجتماعية، الفضاء الحضري

المؤلف المرسل: حورية بن قدور ، الإيميل: houria.benkadour@univ-biskra.dz

Abstract:

This study examines the garden as a socio-cultural space that goes beyond its natural and aesthetic dimensions to function as a site for the production of social relations and symbolic meanings. The approach is grounded in an anthropological perspective focusing on everyday practices within urban spaces and how place is continuously reshaped through social interaction and symbolic mobility. The study argues that the garden is not merely a space for leisure or relaxation, but a micro-social structure reflecting patterns of social organization and embodying relations of power, identity, and belonging. It further explores how this space becomes a field of cultural negotiation between individuals and collectives, as well as between privacy and publicness. The study concludes that understanding the garden as a social space expands anthropological tools toward viewing place as a lived practice rather than a mere geographical entity.

Keywords: Garden, social space, urban anthropology, everyday practice, production of meaning, lived space, social symbolism, urban space.

1. مقدمة:

يعد الفضاء المكاني أحد المفاهيم المركزية في الأنثروبولوجيا المعاصرة، خاصة في ظل التحولات التي عرفتتها الدراسات الحضرية والاهتمام المتزايد بـ"المكان المعيش" بدل المكان المجرد. وفي هذا السياق، لم تعد الفضاءات اليومية تفهم بوصفها خلفيات ثابتة للفعل الإنساني، بل باعتبارها مجالات ديناميكية لإنتاج المعنى وإعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية.

وتندرج الحديقة ضمن هذه الفضاءات التي تبدو في ظاهرها طبيعية أو ترفيهية، لكنها تحمل في عمقها أبعادا اجتماعية وثقافية مركبة. فهي ليست مجرد مساحة خضراء داخل المجال الحضري، بل فضاء تتقاطع فيه ممارسات الأفراد، وتتجسد فيه أنماط من التفاعل الاجتماعي، وتعاد فيه صياغة علاقات الانتماء والتموضع داخل المدينة. ومن هذا المنظور، يمكن النظر إلى الحديقة كـ"نص اجتماعي مفتوح" يقرأ من خلال حركات الأجساد، وأنماط الجلوس، واستخدامات المكان، والرموز المتداولة داخله.

إن المقاربة الأنثروبولوجية للحديقة تسمح بتجاوز الرؤية الوظيفية للمكان، نحو فهمه كفضاء يُنتج اجتماعيا ويعاد إنتاجه باستمرار عبر الممارسة اليومية. فالمكان لا يكتسب معناه من خصائصه الفيزيائية فقط، بل من التفاعلات التي تحدث داخله، ومن التمثلات التي يحملها الفاعلون الاجتماعيون تجاهه. وهنا تبرز أهمية تحليل الحديقة بوصفها مجالا للتفاوض الرمزي بين الخاص والعام، وبين الفرد والجماعة، وبين النظام والعفوية.

وعليه، تسعى هذه الورقة البحثية إلى مساءلة الحديقة كفضاء اجتماعي من منظور أنثروبولوجي، من خلال تحليل بنيتها الرمزية، ووظائفها الاجتماعية، ودلالاتها الثقافية، بما يسمح بإعادة التفكير في العلاقة بين الإنسان والمكان في السياق الحضري المعاصر.

1. تعريف الحديقة:

1.1 الحديقة لغة:

تحمل الحديقة دلالات لغوية عديدة فعرفت على أنها "البستان عليه حائط، أما البستان فهو أرض أدير عليها جدار وفيها شجر وزرع". والحديقة من الرياض: كل أرض استدارت وأحرق بها حاجز أو أرض مرتفعة، وقيل الحديقة كل أرض ذات شجر مثمر ونخل ويقال:

الحديقة البستان والحائط وخص بعضهم به الجنة من النخل والعنب. وقيل الحديقة: القطعة من الزرع عن كراع (في معنى الاستدارة) وكل بستان كان عليه حائط فهو حديقة وما لم يكن عليه حائط لم يقل له حديقة. (الزواهرة، 2022، ص 580).

2.1. الحديقة اصطلاحا:

مع بدء استقرار الإنسان وتنظيم حياته الاجتماعية وتعيين حدوده الجغرافية، وجد نفسه أمام تنوع الحاجيات، والتأمل في الطبيعة التي كان ينظر إليها ساقا كمورد للطعام والاكل، غير أن عملية الاستقرار ولدت لدى الإنسان نظرة مغايرة للطبيعة متأثرا بكيفية تصميمها وجمالها، فأدى به ذلك لمحاولة تقليدها بزرع النباتات وأخذها من أماكن مختلفة لأخرى ومحاولة زرعها وتنسيقها مع بعضها البعض معتمدا على حسه الجمالي، ليتشكل مانعرفه اليوم بالحديقة، بحيث يعرفها "توم تيرنر" بأنها: "مكان مخطط، عادة على اتصال بالخارج (على اتصال بالهواء الطلق) تم تنظيمه لغايات العرض والزراعة والاستمتاع بالنباتات والتشكيلات الطبيعية الأخرى، ويضيف أن الحديقة يمكن أن تجمع بين المواد الطبيعية والمواد المصنعة بيد الإنسان، أما بخصوص وظيفتها فقد تقتصر على النواحي الجمالية أو تتعداها لغايات إنتاج الغذاء. (الزواهرة، 2022، ص 580).

كما تمثل الحديقة مساحة خضراء ذات أهمية حضرية وكفضاء اجتماعي أساسي في التخطيط الحضري، فتعرف بأنها: "عبارة عن الفضاء أو الحيز الموجود في اقليم جغرافي يسيطر فيه العنصر الطبيعي النباتي". (بوعناقة، 2010، ص 36).

2. الحديقة بين ثنائية "العام والخاص":

تشكل الحديقة في الفضاء الحضري مجالا إشكاليا يتأرجح بين طابعها العمومي باعتبارها ملكا مشتركا للجماعة، وبين استخدامها الفردي الذي يضفي عليها أبعادا شبه

خاصة. هذا التداخل يجعلها فضاءً وسيطا يعيد تعريف الحدود التقليدية بين ما هو عام وما هو خاص، ويكشف عن طبيعة مرنة للمجال الحضري. فداخل الحديقة، لا يعود الفضاء العام مجرد مجال مفتوح خاضع للسلطة الجماعية، بل يتحول إلى فضاء يعاد تملكه عبر الممارسة اليومية للأفراد.

وفي هذا السياق، يشير هنري لوفيفر إلى أن: "الفضاء ليس شيئا محايدا، بل هو نتاج اجتماعي ينتج عبر الممارسة اليومية". (Lefebvre, 1991, p. 26)

ينسجم هذا الطرح مع فهم الحديقة كفضاء يعاد إنتاجه اجتماعيا من خلال الاستخدامات المتنوعة: الجلوس، اللعب، اللقاءات، أو حتى العزلة المؤقتة داخل المجال العام. ومن ثم، فإن ثنائية العام/ الخاص لا تُلغى داخل الحديقة، بل تُعاد صياغتها بشكل ديناميكي يعكس مرونة العلاقات الاجتماعية داخل المدينة

كما تتيح الحديقة الوصول المفتوح لكل الأفراد من الساكنة الذين يعدون الفواعل الأساسية في فضاء الحديقة وسكانها الذي يملكون المعرفة الصحيحة بكيفية التعامل مع هذه المساحة، والتي تكون محددة من المالك للحديقة ومن العرف العام لاستغلال هذه المساحات التي تنشأ نتيجة التفاعل الدائم بين الأفراد ضمن هذا الفضاء، ومنه يعمل العرف الاجتماعي على جعل الفاعلين الاجتماعيين يخضعون للقواعد وتحسين التواصل والتفاهم بينهم، كون الجقائق في المجال الحضري هي جزء من السلوك اليومي للفرد في المدينة وليست منظور نقدي مفروض على الفاعلين. وهو الجانب العام من الحديقة لأنه في الأصل، كان الوصول الحر لأي شخص في أي وقت مضمونا، ولكن في الواقع، هذا ليس هو الحال دوما. فهناك أفراد "مُستبعدون" تم فرض عقوبات على وجودهم. هؤلاء هم الأفراد الذين يُطلق عليهم "المنحرفون" أو "المخالفون للمعايير العامة"، مثل البغايا

ومدمني المخدرات والمتسولين والمشردين واللصوص، وما إلى ذلك. يُضفي عليهم الطابع العام المجهول، الذي هو ملك للجميع ولا يخص أحدا في الوقت نفسه، أي أن كل مواطن يستخدم مساحة الحديقة بشكل صحيح وفقا للمعايير، صفة "الجميع" في الوقت نفسه، تُضفي على هذه المخالفات صفة "الجميع" بمعنى كل مواطن يستخدم مساحة الحديقة بشكل صحيح وفقاً للمعايير. كما أن مساحة الحديقة تخضع للمعايير والقواعد، ولا تُستثنى من ذلك أي مساحة أخرى في المدينة مما يحدد جانبيين أساسيين لكيفية تصميم مساحة الحديقة: (فهي مفتوحة ومضاءة جيداً)، وهاتان السمتان تضمنان رؤية مثالية فيه (MeglenaZlatkova,2015;p05-06)

تكمن العلاقة بين العام والخاص في استخدام الحديقة من قبل الأفراد بين جانبيها العام وبين التصرف الخاص للأفراد فيها، فهي تستخدم بشكل فردي، وترتبط هذه الاستخدامات ارتباطاً وثيقاً بالدعاية، وتتنوع بين حدائق عائلية وحدائق تزلج وحدائق عامة، وحتى في هذه الحالة فهي مجرد انعكاسات لرؤى شخصية خاصة لهذه المساحة - باعتبارها مكاناً للظهور والتعبير الحر يتصرف رواد الحديقة كما لو كانوا في مساحة عامة وفي الوقت نفسه في مساحة خاصة، وهذا ليس بالأمر المثير للجدل ما لم "يتجاوز" الفاعلون "الخط"، أي الحدود الطبيعية لتصرفاتهم كمواطنين عاديين -التصرف الطبيعي تُحدد من خلال الأعراف العامة- فالفرد يعيش عمومية الوصول للحديقة وفي نفس الوقت يفضل خصوصيته في الجلوس واستغلال المساحة دون إزعاج من الآخرين. (MeglenaZlatkova,2015;p05)

3. التمثيلات والمعاني المرتبطة باستخدام الحدائق العامة:

لا يمكن فهم الحديقة بوصفها فضاء ماديا فقط، بل يجب النظر إليها كفضاء رمزي تتشكل داخله تمثيلات اجتماعية وثقافية متعددة. فالأفراد لا يستخدمون الحديقة بطريقة

واحدة، بل وفق تصورات ذهنية وقيم ثقافية تحدد علاقتهم بالمكان. فهي بالنسبة للبعض فضاء للراحة والاستجمام، وللآخر فضاء للتفاعل الاجتماعي، أو حتى مجالاً للمراقبة الاجتماعية غير المباشرة.

وتشير الباحثة ميشيل دو سارتو إلى أن: "المكان يعاد كتابته من خلال الممارسات اليومية التي تمنحه معاني جديدة". (de Certeau, 1984, p. 117).

انطلاقاً من هذا التصور، تصبح الحديقة نصاً اجتماعياً مفتوحاً تكتب معانيه من خلال الاستخدام اليومي. ففي السياق العربي مثلاً، يمكن ملاحظة أن الحديقة غالباً ما تحمل دلالات مرتبطة بالترفيه العائلي، أو باللقاءات الاجتماعية غير الرسمية، أو حتى كفضاء مراقب اجتماعياً، خاصة بالنسبة لبعض الفئات الاجتماعية.

كما أن هذه التمثيلات تختلف باختلاف العمر والجنس والخلفية الاجتماعية، مما يجعل الحديقة مجالاً لتعدد القراءات الثقافية داخل نفس الفضاء المادي.

لذلك تختلف تصورات الأفراد للحدائق العامة حسب الطبقة الاجتماعية والحالة الاقتصادية للأفراد، والعمر والجنس، ولا يمكن أن تكون كل هذه التصورات متماثلة بين كل الفئات، وبالتالي فالاختلافات السيميائية تزودنا بالمعاني الثقافية التي تعد جزءاً من الطبيعة الثقافية للإنسان. ويعد تصميم الحدائق بنية أساسية في إنتاج فضاء فني ابداعي يستجيب للحاجات الانسانية الفرعية كتقدير الذات والجمالية، وبالتالي تؤثر عمليات التصميم على السلوكات وعلى التمثيلات كذلك. فالمعنى الذي ينسب إلى المساحات الخضراء العامة في المدن من قبل مستخدم عاطل عن العمل لا يمكن أن يكون بالضرورة هو نفسه المعنى الذي يُنسب إليه من قبل مستخدمٍ مُؤمّن له احتياجاته الأساسية للحياة الطبيعية ومعاني كلمات مثل "الترفيه" و"الاسترخاء" و"التنزه"، عند تطبيقها على وظيفة

المساحات الخضراء العامة في المدن، لا يمكن أن تحمل في هذه الحالات الدلالة نفسها. (

(BekkoucheAmmara ,1997;p6 5

وأيضاً طبقاً للمنظور الأنثروبولوجي، لا ينظر إلى الفضاء العام باعتباره مساحة محايدة، بل هو بناء اجتماعي وثقافي تتداخل فيه السلطة، والرمزية، والتاريخ المحلي. فالحديقة العامة رغم انفتاحها الظاهري على الجميع، تخضع لقواعد غير مكتوبة تُنظم من يحق له التواجد، وكيف، وفي أي وقت، وبأي جسد.

فالذكور يرتبط ذهابهم للحدائق العامة بتمثيلات الحرية وشرعية التواجد في المكان العام الذي يعد حسب بيبورديوففضاء خارجي وبالتالي فهو فضاء ذكوري، فهو لا يحتاج لتحديد ذهابه لها ولا تبرير تواجده، وعموماً تمثل الحديقة بالنسبة للذكور:

- فضاء لممارسة الاختلاط الاجتماعي.
- لإثبات الحضور الجسدي والرمزي كفضاء ذكوري سلطوي في غالب الأحيان.
- لعقد شبكة علاقات اجتماعية مع باقي الذكور في الحديقة.

قد يؤثر الحضور الكبير للذكور في الحدائق على الفئات الأخرى كالإناث خصوصاً، التي يكون حضورها في هذا الفضاء العام مؤطراً بالحرمة والخصوصية الاجتماعية والمراقبة، وبالسباق الثقافي للمجتمع المحيط بالحدائق العامة. فحضور الإناث في الحديقة يخضع لشروط عرفية ضمنية:

- غالباً ما يكون حضورها مصحوباً (مع صديقات، أطفال، أو أفراد العائلة).

- يفضل أن يكون في أوقات محددة (النهار أكثر من الليل)، مع تفادي الاختلاط والمناوشات.

- يرتبط بالحضور المحترم، المربوط بالبحث عن الراحة وتغيير الفضاء المسكني الداخلي، ومنه التحرك والتخلص من الضغوط، ويرافق حضورها اختلاطاً أنثوياً واسها باعتبار المرأة أكثر قدرة على عقد العلاقات مع بني جنسها من الإناث، دون خرق المعايير الاجتماعية الشائعة.

أما بالنسبة للمتزوجين مثلاً، تمثل الحديقة العامة فضاء ذا شرعية اجتماعية عالية. فالذهاب إليها يمكن فهمه ضمن خطاب العائلة، والتنشئة، والترفيه وتجديد العلاقات الأسرية وهي تمثيلات ترمز للاستقرار الاجتماعي والمسؤولية الأبوية اتجاه أطفالهم.

عموماً ربط معاني الحداثق إلى الممارسات المرتبطة باستغلالها. ومن أهم الممارسات التي يمارسها الجزائريون في الحداثق منه:

- الاسترخاء والراحة.
- ملاحظة الطبيعة وتأملها.
- ممارسة الرياضة و الهوايات المختلفة ، ومكان للعب الأطفال وبسط الراحة.
- ممارسة العمل ومكان التقاء الأصدقاء والرفاق.
- مكان للمطالعة وقراءة الكتب.
- القيام بالنشاطات الثقافية والمهرجانات.

- القيام بالنشاطات التحسيسية والتضامنية. (لخزاري، 2021، ص75).

4. الحدائق عنصر للتماسك الاجتماعي:

تلعب الحدائق العامة دورا مهما في تعزيز التماسك الاجتماعي داخل المدينة، باعتبارها فضاءات للتلاق والتفاعل بين مختلف الفئات الاجتماعية. فهي تتيح فرصا للقاء غير الرسمي، وتخفف من حدة الفصل الطبقي والمجالي، ولو بشكل جزئي ومؤقت، مما يساهم في بناء أشكال من الروابط الاجتماعية العابرة للفئات.

وفي هذا السياق، يرى ريموند أولدنبرغ أن: "الأماكن العامة غير الرسمية ضرورية للحياة المدنية لأنها تخلق فضاءات للتفاعل الاجتماعي غير المقيد" (Oldenburg, 1999, p. 22).

ترجم هذه الفكرة في سياق الحديقة باعتبارها "مكانا ثالثا" بين البيت والعمل، حيث تتشكل شبكات اجتماعية خفيفة لكنها فعّالة في إنتاج نوع من الانسجام الاجتماعي. كما أن وجود العائلات والأطفال وكبار السن داخل نفس الفضاء يعزز منطق التعايش والتفاعل بين الأجيال.

ومن منظور أنثروبولوجي، فإن الحديقة ليست فقط فضاء للترفيه، بل هي آلية رمزية لإعادة إنتاج الروابط الاجتماعية داخل المدينة، بما يجعلها عنصراً من عناصر الاستقرار الحضري غير المباشر.

إذن المساحات الخضراء هي الأماكن المناسبة والمطلوبة لممارسة العلاقات الاجتماعية، فهي مصدر للروابط الاجتماعية، خاصة عندما تقع في قلب الأحياء المعيشية (السكن، العمل). من خلالها، تكون العلاقات بين سكان نفس الحي أكثر انتشاراً وأكثر هدوءاً، كما يتناقص العنف. (Manusset, 2012, p05) حيث أوضحت بعض التجارب داخل الأحياء

العمودية بشيكاغو ونيويورك أن الحداثق الواقعة بجوارها أصبحت أماكن للإلتقاء بالنسبة للسكان، وتم اجراء بعض الملاحظات في الحداثق ومقابلات مع السكان لحوالي 100 ساكن، فتوصلوا أن وجود عدد من الأشجار يعتبر دعم للديناميكيات الإجتماعية، إلى غاية أن أصبحت عوامل قوية للتماسك الاجتماعي، للأمن والشعور بالإنتماء الإجتماعي الثقافي للسكان حول الأشجار، تتطور الحياة، يتولد تبادل للحديث بين السكان، تواجد الكبار يؤدي إلى تواجد أطفال والذين بدورهم يواصلون لعبهم تحت مراقبة الكبار) .
(UNEP,2008)

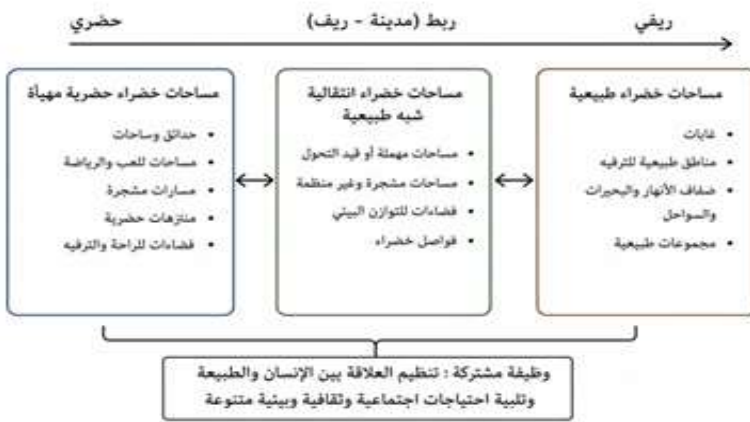
وجود غطاء نباتي يؤثر بشكل كبير على الاحساس بالارتياح في الأماكن الحياتية أو العمل، وبالتالي على تحسين جودة الحياة. والتهيئة الطبيعية في المساحات العامة الخارجية تشجع التردد على المكان بشكل أكبر، من طرف مجموعات أكبر تتكون من أشخاص من جميع الأعمار. فالأماكن الطبيعية تساهم في تفاعل اجتماعي أفضل، وتحسين المشاركة والعلاقات بين السكان. وبالتالي فالحداثق .(لخذاري،2021، ص79). العام تسمهم في خلق جو من التفاعل الذي يؤدي بفضل تصميمها واخضرارها وعلاقة الانسان الطبيعية بالبيئة إلى الإحساس بالإنتماء، وإزالة الضغوطات الحياتية الناجمة عن العمل، العائلة، الدراسة..مما يوفر صفاء ذهنيا يسمح بخلق روابط اجتماعية جديدة وتجديد النفس. ويمكن أن نجد في كل مناطق الجزائر عديد الحداثق منها ما هو من إرث الاستعمار ومنها ما هو تاريخي قبل الاستعماري والباقي يعتبر حديث النشأة.

5.ديناميات الفضاء الأخضر عبر التدرج المجالي، تحليل أنثروبولوجي للممارسة.

يشكل الفضاء الأخضر عنصرا محوريا في علاقة الإنسان ببيئته، حيث يتخذ أشكالا متعددة تدرج من الطبيعي في الوسط الريفي إلى المنظم والمؤطر في الوسط الحضري. ولا

يقتصر هذا التدرج على البعد المكاني فحسب، بل يعكس تحولات عميقة في أنماط الاستخدام والممارسة الاجتماعية، وفي الكيفية التي يعاد بها إنتاج المعنى داخل هذه الفضاءات.

ومن منظور أنثروبولوجي، يتيح هذا الانتقال من الريفي إلى الحضري تتبع تطور علاقة الإنسان بالعنصر الأخضر، من ممارسات مرتبطة بالعيش المباشر والتقاليد، إلى أشكال أكثر تعقيدا من الاستخدام تؤطرها التنظيمات الحضرية، دون أن تفقد طابعها كفضاء للتفاعل الاجتماعي والإبداع اليومي. وعليه، يسعى هذا القسم إلى قراءة تصنيف المساحات الخضراء انطلاقا من هذا التدرج، من خلال إبراز ديناميات التحول في الممارسة بين الطبيعي والمهيكل. (لخذاري، 2021، ص79).



الشكل رقم(1): يبين اشكال المساحات الخضراء باختلاف المجال.

يظهر التصنيف الوارد في الشكل رقم (1) أن المساحات الخضراء لا تفهم باعتبارها مجرد وحدات بيئية أو عناصر جمالية داخل المدينة، بل باعتبارها بنية متدرجة تعكس تحول العلاقة بين الإنسان والمكان عبر مستويات مختلفة تمتد من الحضري إلى الريفي. ومن

منظور أنثروبولوجي آخر ، هذا التدرج يفتح المجال لتحليل الكيفية التي تُعاد بها صياغة الفضاء الأخضر من خلال الممارسة اليومية للفضاء المستغل، حيث أنه لا يصبح للمكان معطى ثابتا، بل نجد أنه متغير وغير ثابت نتيجة لتفاعل مستمر بين الفاعلين الاجتماعيين وأنماط استخدامهم المتعددة.

ولا يمكن فصل هذه التحولات عن البعد التاريخي للممارسة الإنسانية التي يحدثها الفرد بالبيئة، إذ إن الحديقة، وذلك راجع إلى أن الحديقة بوصفها فضاء أخضر، قد رافقت نشأة التجمعات البشرية الأولى، وإن اختلفت أشكالها ووظائفها عبر الزمن. فقد تنوعت أدوارها بين الإنتاج (كالزراعة)، والحماية، والطقوس الرمزية، ليأتي بعد ذلك الترفيه والتنظيم الحضري (Berleant, 1992, p. 45). ومع ذلك، ورغم هذا التعدد في الأشكال وطرق التجسيد، ظلت الحديقة تؤدي وظيفة مشتركة تتمثل في كونها وسيطاً بين الإنسان وبيئته، ومجالاً لتنظيم العلاقة بين الطبيعة والثقافة. هذا الثبات النسبي والوظيفي المؤثر في التنشئة الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية بين الإنسان وبيئته ليخلق بذلك الفضاء الذي يوفر له كل الجوانب والمتطلبات اللازمة لحياته، وذلك مقابل التحول في الشكل الذي يحدث المعنى ويبرر الأسباب والدواعي التي يتخذ منها المجتمع متطلبات الترفيه بمنح الفضاء الأخضر قيمة ساهمت في دعم الميدان الاجتماعي والبيئي لبحثنا بما يفيدنا في التحليل الأنثروبولوجي للواقع المعاش في الفضاء الأخضر.

في الوسط الحضري، تتخذ المساحات الخضراء شكلا مؤطرا ومهيأ، مثل الحدائق والمساحات والمنزهات، وهو ما يعكس تدخلا مؤسساتيا واضحا في تنظيم الفضاء. غير أن الأنثروبولوجيا تتجاوز هذا المستوى الشكلي لتتبع كيف يعيد الأفراد امتلاك هذه الفضاءات بطرق قد تختلف عن وظائفها المعلنة. فالحديقة، رغم تصميمها كفضاء للراحة، تتحول إلى مسرح لممارسات متعددة: لقاءات اجتماعية، أنشطة غير رسمية،

تعبيرات جسدية وثقافية، بل وأحيانا إلى فضاء للتوتر أو التفاوض حول حدود السلوك المقبول. هنا يظهر الإبداع الاجتماعي في قدرة الأفراد على إعادة تعريف وظائف المكان، وتحويله من فضاء مخطط إلى فضاء معيش.

أما في المساحات الانتقالية بين المدينة والريف، فإن التحليل الأنثروبولوجي يكشف عن منطقة غنية بالتحويلات، حيث تتداخل أنماط متعددة من الاستخدام والمعاني التي تضيفها هذه الفضاءات، لا تخضع بالكامل لمنطق التنظيم الحضري، ولا تحتفظ في الوقت ذاته بصفتها الطبيعي، مما يجعلها مجالا خصبا لممارسات هجينة. في هذا السياق، يمكن رصد أشكال من الإبداع اليومي مثل الزراعة الحضرية غير الرسمية، أو استخدام الأراضي المهملة كمجالات للتجمع أو النشاط الاقتصادي البسيط. إن هذه الممارسات تعكس قدرة الفاعلين على التكيف مع الهامش، وتحويله إلى مورد اجتماعي وثقافي، كشفت بذلك عن ديناميات تفاوض مستمرة بين الرسمي وغير الرسمي.

وهذا ما نراه في الوسط الريفي أو الطبيعي، حيث تأخذ العلاقة مع الفضاء الأخضر بعدا أكثر تجذرا في الذاكرة والهوية. فالمساحات الغابية أو الطبيعية لا تستخدم فقط لأغراض الترفيه، بل ترتبط بأنماط عيش وممارسات متوارثة تعكس استمرارية ثقافية. هنا، تتبع الأنثروبولوجيا كيف تستثمر هذه الفضاءات في إعادة إنتاج الانتماء، سواء من خلال الطقوس، أو الممارسات الاقتصادية التقليدية، أو حتى أشكال التمثيل الرمزي للطبيعة. ويظهر الإبداع في هذا السياق ليس بوصفه خرقاً للنسق، بل كقدرة على الحفاظ على التوازن بين الاستمرارية والتكيف مع التحويلات الحديثة.

وعليه نجد أن ما يكشفه هذا التدرج في المساحات الخضراء هو أن الممارسة الثقافية لا تنفصل عن خصائص الفضاء، بل تتشكل عبره وتعيد تشكيله في الوقت ذاته. فالأنثروبولوجيا، من خلال تتبعها لهذه التحويلات، تبين أن الإبداع لا يكمن فقط في تصميم

الفضاءات، بل في الطرق التي يعيش بها الناس، ويعيدون من خلالها إنتاج المعنى لحياتهم. وهكذا، يصبح الفضاء الأخضر سجلاً حياً للممارسات الاجتماعية، ومجالاً ديناميكياً تتقاطع فيه قضايا الهوية، والسلطة، والانتماء، ضمن سيرورة مستمرة من التفاعل والتحول (Low, 2000, p. 112).

كما يكشف التدرج المجالي للفضاءات الخضراء أيضاً عن أن العلاقة بين الإنسان والطبيعة ليست علاقة استعمال وظيفي بسيط، بل هي علاقة ثقافية واجتماعية تتغير تبعاً للسياق الذي يمارس فيه الفعل اليومي. فالفضاء الأخضر في المدينة يخضع لمنطق التنظيم المؤسسي والتخطيط العمراني، غير أن الأفراد لا يكتفون باستهلاكه وفق الوظيفة التي خُصص لها، بل يعيدون امتلاكه رمزياً من خلال ممارساتهم اليومية، فيحوّلونه إلى فضاء للقاء، والتفاوض الاجتماعي، وإبراز الهوية، وبناء شبكات العلاقات. أما في المناطق الانتقالية بين المدينة والريف، فإن الفضاء الأخضر يصبح مجالاً هجيناً تتداخل فيه القواعد الرسمية مع الاستخدامات غير الرسمية، بما يعكس قدرة الفاعلين الاجتماعيين على التكيف مع الهامش وتحويله إلى مورد للترفيه أو النشاط الاقتصادي أو إعادة الاتصال بالطبيعة. وفي الوسط الريفي، تتخذ العلاقة مع الفضاء الأخضر بعداً أكثر تجذراً في الذاكرة الجماعية، حيث يرتبط بالأرض والعمل والقربة والطقوس، ويؤدي وظيفة رمزية في إعادة إنتاج الهوية والانتماء الثقافي. ويظهر هذا التدرج أن المعنى الاجتماعي للمكان لا ينبع من خصائصه الفيزيائية فقط، بل من شبكة الممارسات والتمثيلات التي تمنحه دلالة داخل كل سياق، بحيث يصبح الفضاء الأخضر سجلاً حياً تتقاطع فيه قضايا السلطة، والهوية، والتنظيم الاجتماعي، وتعاد من خلاله صياغة العلاقة بين الإنسان وبيئته ضمن سيرورة مستمرة من التفاعل وإنتاج المعنى.

وتدعم نتائج دراسة هشام لخذاري Hicham Lakhdari (2021) هذا التحليل الأنثروبولوجي؛ إذ بينت أن الفضاء الأخضر يكتسب وظائف اجتماعية ورمزية متباينة تبعاً للتدرج المجالي الذي يوجد فيه. فقد أوضحت الدراسة أن الحداثق الواقعة في الوسط الحضري تُستخدم أساساً في الاسترخاء، ومرافقة الأطفال، والمشي، ولقاء الأصدقاء، بما يجعلها امتداداً للحياة اليومية داخل المدينة ومجالاً لإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية بصورة غير رسمية. أما الفضاءات الواقعة في الأطراف الحضرية وشبه الريفية، فتؤدي وظيفة انتقالية تتمثل في تمكين الأفراد من الانفصال المؤقت عن إيقاع المدينة واستعادة علاقة أكثر هدوءاً بالطبيعة، وهو ما يمنحها معنى رمزياً مرتبطاً بالتححرر من الضغط الحضري والبحث عن التوازن النفسي. في حين ترتبط المساحات الخضراء الريفية بوظائف إنتاجية وثقافية أكثر رسوخاً، حيث تستثمر في الزراعة والرعي والتجمعات العائلية، وتعد جزءاً من الذاكرة الجماعية والهوية المحلية. وتظهر هذه النتائج أن الفضاء الأخضر لا يمتلك معنى ثابتاً، بل يعاد تشكيله باستمرار وفق السياق الاجتماعي والثقافي الذي يمارس داخله، وهو ما ينسجم مع المنظور الأنثروبولوجي الذي ينظر إلى المكان باعتباره بناءً اجتماعياً تنتجه الممارسات اليومية، وتُعاد من خلاله صياغة علاقات الانتماء والهوية والسلطة (لخذاري، 2021، ص. 79-85).

وفي ضوء التحليل النظري والمعطيات الميدانية المعتمدة في مختلف محاور الدراسة، يتبين أن الحديقة العامة لا تمثل مجرد مساحة خضراء ذات وظيفة جمالية أو ترفيهية، بل تشكل فضاءاً اجتماعياً وثقافياً مركباً تنتج داخله المعاني وتُعاد من خلاله صياغة العلاقات بين الأفراد والجماعات. وقد بيّن التحليل الأنثروبولوجي أن المكان لا يكتسب دلالاته من خصائصه الفيزيائية فحسب، وإنما من الممارسات اليومية والتمثلات الاجتماعية التي يحملها الفاعلون تجاهه، وهو ما يجعل الحديقة بناءً اجتماعياً حياً يتجسد فيه التفاعل بين الطبيعة والثقافة، وبين التنظيم الرسمي والاستخدام الفعلي. كما

أظهرت الدراسة أن الحديقة تعيد تشكيل الحدود بين المجال العام والخاص، إذ تتيح للأفراد إمكانية الوصول إلى فضاء مشترك، وفي الوقت نفسه تمكنهم من خلق أشكال من الخصوصية المؤقتة داخل المجال العمومي. وبينت النتائج كذلك أن المعاني المنسوبة إلى الحديقة تختلف باختلاف الجنس والعمر والوضع الاجتماعي والخلفية الثقافية، مما يجعلها مجالاً لتعدد القراءات والرموز والدلالات. وأكد المقال أن الحدائق العامة تسهم في تعزيز التماسك الاجتماعي من خلال توفير فضاءات للتلاقي والتفاعل غير الرسمي بين العائلات والأطفال والشباب وكبار السن، بما يدعم الشعور بالانتماء ويخفف من الضغوط النفسية والاجتماعية. كما أوضح أن الفضاء الأخضر يكتسب وظائف ومعاني متغيرة وفق التدرج المجالي من الحضري إلى الريفي، حيث تتنوع استخداماته بين الترفيه والتفاعل الاجتماعي والإنتاج والذاكرة الجماعية. وفي ضوء ذلك، خلصت الدراسة إلى أن الحديقة تُعد مؤسسة اجتماعية غير رسمية وسجلاً حياً للممارسات الثقافية، وأن فهمها من منظور أنثروبولوجي يتيح قراءة أعمق للعلاقة بين الإنسان والمكان بوصفها علاقة إنتاج مستمر للمعنى وإعادة تشكيل متواصلة للفضاء الاجتماعي.

6. خاتمة:

من خلال هذا العمل تبين لنا أن الحديقة ليست مجرد فضاء طبيعي أو ترفيهي داخل المجال الحضري، بل هي بنية اجتماعية-ثقافية معقدة تُنتج داخلها المعاني، وتعاد فيها صياغة العلاقات بين الأفراد والجماعات. فهي فضاء يتجاوز ثنائية العام والخاص، ويكشف عن مرونة في استخدام المكان، كما يعكس تعدد التمثيلات الثقافية والاجتماعية المرتبطة به.

كما تبين أن الحديقة تلعب دورا مهما في تعزيز التماسك الاجتماعي، من خلال توفير فضاء للتفاعل غير الرسمي بين مختلف الفئات، مما يجعلها عنصرا وظيفيا ورمزيا في آن واحد داخل البنية الحضرية.

وعليه، فإن المقاربة الأنثروبولوجية للحديقة تسمح بفهم أعمق للعلاقة بين الإنسان والمكان، ليس باعتبارها علاقة استخدام فقط، بل باعتبارها علاقة إنتاج للمعنى وإعادة تشكيل مستمرة للفضاء الاجتماعي..

7. قائمة المراجع:

1. ابن منظور، محمد بن مكرم. (د.ت). *لسان العرب*. بيروت.
2. بوعناقة، سفيان. (2010). *الحدائق العامة في البيئة الحضرية بقسنطينة: دراسة ميدانية في حديقة بشير بن ناصر* (رسالة ماجستير). جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر.
3. التير، علي محمد، وآخرون. (2020). التحليل المكاني للأسواق الدورية الأسبوعية ببلدية زليتن. *مجلة كلية الآداب*، (15).
4. الزواهرة، ثامر. (2022). الحدائق العامة وأثرها على المجتمع الأردني. *المجلة العربية للنشر العلمي*، 5.(50).
5. سعيد، بعلي محمد. (2018). *الحياة الجماعية وأماكن التعايش الاجتماعي ضمن فضاءات التبادل والتفاوض في الأسواق الأسبوعية* (أطروحة دكتوراه). جامعة وهران 2، الجزائر.

6. عباس، زهرة. (2015). نظام التبادل عند بعض القبائل البدائية: قراءة في الإرث الأنثروبولوجي. *مجلة الحوار الثقافي*، (2).
7. عبد القادر، سلوى السيد. (2010). *الأنثروبولوجيا الاقتصادية*. دار المعرفة الجامعية، مصر.
8. غيدنز، أنتوني. (2005). *علم الاجتماع* (فايز الصياغ، مترجم). المنظمة العربية للترجمة، لبنان.
9. لخداري، هشام. (2021). *دور المساحات الخضراء في التخفيف من ضغوطات الحياة الحضرية* (رسالة ماجستير). جامعة بسكرة، الجزائر.
10. لعادل، محمد. (2015). *السلطة العرفية وعلاقتها بالعنف في الأسواق الشعبية*. *مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية*، (5).
11. مجموعة من المؤلفين. (د.ت). *البازار: السوق في التراث الإسلامي*. مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.
12. ميداني، قدور. (2018). *الخصوصية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للسوق: دراسة أنثروبولوجية بسوق سيدي خطاب* (أطروحة دكتوراه). جامعة وهران 2، الجزائر.

13. Ammara, B. (1997). L'espace vert urbain public: Entre pratique et conception. *Insaniyat*, 1(2).

14. Berleant, A. (1992). *The aesthetics of environment*. Temple University Pres

15. Bourdieu, P. (1980). *Questions de sociologie*. Éditions de Minuit, Paris.
16. Diouri, M. (2012). *Chroniques de souk*. L'Harmattan, Paris.
17. Geertz, C. (2022). *Sūq: Geertz on the market* (L. Rosen, Ed.). HAU Books, Chicago.
18. Low, S. M. (2000). *On the plaza: The politics of public space and culture*. University of Texas Press.
19. Manusset, S. (2012). Impacts psycho-sociaux des espaces verts dans les espaces urbains. *Développement durable et territoires*, 3(3).
20. UNEP. (2008). *Le végétal, l'oublié du Grenelle!: Bénéfices environnementaux, économiques et sociaux des jardins et espaces verts*.
21. Zlatkova, M., et al. (2015). The "uses" of the central park or urban garden: Anthropology of urban places (Plovdiv, Bulgaria). *Colloquia Humanistica*.